القصة السابعة عشرة ـ أحبيتك بقسوة

وردة بوجيما

اليوم هو أول يوم في جامعتي الجديدة بعد انتقالي لها ..

تعرفت على بعض الصديقات هناك وكونت علاقة طيبة معهن ..وحتى علاقاتي مع الأساتذة كانت جيدة رغم أني لم أكن طالبة مجتهدة بل كنت ثرثارة نوعا ما خصوصا عندما أجلس برفقة صديقاتي أثناء الدرس !

أما أستاذ مادة الأدب العربي فقد كان صارما ومغرورا كما يعرف عنه رغم أنّه لا يزال شابا إلا أنّه جدّي في عمله ولا مجال للمزاح معه !

حتى أنني في أول حصة له لقبته بالمغرور المتعجرف وأنا أمازح صديقاتي وأظن أنّه سمعني يومها ومنذ ذلك اليوم بدأت مشاكلي معه !

لم يترك لي المجال لأخطئ..كثيرا ما ينتقد أجوبتي ولا يترك تفصيلا خاطئا إلا وذكره!

كثيرا ما كان يطردني من حصصه دون سبب يذكر، وإن فشلت في أحد امتحاناته وبخني بشدة و عزلني عن الجلوس برفقة صديقاتي لأكون دوما في مقعد منعزل !

أصبحت أخشى توبيخاته دوما فهو رجل قاسٍ لا يرحم مما دفعني إلى الاستيقاظ باكرا على غير العادة حتى لا أتأخر عن درسه !

امتعنت عن الحديث أثناء حصته حتى لا يسكتني ويحرجني أمام الكل بإحدى عباراته القاتلة .

كم كرهته بعدها وكم كرهت جامعتي بسببه !

ورغم هذا كان الأستاذ الوحيد الذي يدرسني في كل سنة حتى أنهيت دراستي وتخرجت ..حينها فقط تخلصت منه ومن غطرسته .

قدمت بعض الحلويات للأساتذة بمناسبة تخرجي وبقي هو الوحيد الذي لم أقدم له .

تقدمت نحو مكتبه بخطوات مرتعشة، أخشى فعلا أن يطردني فور رؤيته لي عند عتبة بابه .

طرقت الباب برويـة ودخلت ..ودون أن أرفع عينيّ في حضرته قدمت له علبة الحلوى وشكرته وهممت بالانصراف .

لكنه خاطبني باسمي وطلب مني أن أتوقف وهذا ما جعلني أرتبك أكثر !

تقدم نحوي وبارك لي تخرجي وفي يده ورقة قدّمها لي وطلب مني الجلوس وقراءتها .

استغربت الأمر ..لكني دون تفكير فعلت ماطلب مني بينما اكتفى هو بالتحديق خارجا عبر نافذته .

كلمات مكتوبة بخط يده فأنا أميزه جيدا ولا يمكن ألا أعرفه !

" بسم الله الرحمن الرحيم

مبارك لنا تخرجك .

أعلم أنك تكرهينني وتخشين حتى النظر في عينيّ لأنني طالما كنت قاسيا معك .

أتعلمين ..لولا قسوتي تلك لما كنت اليوم هنا تتفوقين على صديقاتك اللواتي لم ينجحن بعد .

أتدركين أن عزلك عنهن أثناء الدرس كان لصالحك ؟

أتعلمين أنّ سبب طردي لك في الحصص الأخيرة هو الخوف من تأخرك عن منزلك البعيد عن الجامعة وقد لا تعثرين على حافلة تقلك ؟

حرصي عليك كان من أجل مصلحتك ..فعلت كل ذلك من أجلك .

أعلم أنها أعذار سخيفة لن تقنعك ..ولا يمكنني أن أجبرك !

كلمة آسف لن تكفي لأعتذر لك ..لكني سأقول

شكرا لك لأنك لازلت تقرئين هاته الأسطر التي كتبتها لك ..

شكرا لأنك كنت تعودين في كل صباح خشيت فيه أن لا أراك مجددا .

كنت قاسيا فعلا ..وماذنبي أني أحببتك بكل ما فيّ من قسوة !

ماذنبي أنّ قلبك يخفق في داخلي وفي كل مرة أعاقبك فيها هو عقاب لي، لأني لم أستطع أن أصارحك !

شكرا لقلبك الذي يخفق لحروفي .. عيونك التي تدمع ..وبسمتك التي تشرق !

لا تسأليني متى وكيف ولكني أحببتك حين كسرت غروري بإهمالك لي عكس قريناتك !

اكرهيني بكل مافي قلبك من طيبة كسرتها بظلمي لك !

عاقبيني اليوم ولا تقبلي طلب زواجي منك ..اكسري غروري لآخر مرة قبل رحيلك

افعليها ودعيني أتذكر رفضك لي كلما انتابني الغرور من اليوم فصاعدا ..فأنا لا أستحقك !

اكرهيني بقدر ما أحبك ..فحبي لك ليس له حدود لأرسمها لك !

خاطبني حينها صوت من داخلي يقول له

أحببتني بكثير من القسوة وكرهتك بكثير من الشوق يا وجعي

*****